قيمة القبيح في شعر قيس بن الملوح

طالب الماجستير: محمد الديبو النجار
كلية الآداب – جامعة البعث
اشراف الدكتور: أحمد دهمان + د. رئيفة السلومي

ملخص البحث
على الرغم من أن الجمال علم له نظرياته ومنظروه وهو علم حديث إلا أن للأفكار الجمالية جذورها في أدبنا العربي القديم، لذا يهدف هذا البحث إلى تناول قيمة من القيم السلبية في شعر (قيس بن الملوح)أحد أبرز شعراء الغزل العذري، ألا وهي قيمة القبيح التي كثيراً ما ارتبطت بمظاهر الشكل الحسية إلا أنها في أشعاره لم تقتصر على المظاهر الحسية بل جاءت بمعظمها معنوية، إذ عبر عن قبح الأفعال والوشاة والفراق ...بوساطة الصورة الفنية.

الكلمات المفتاحية: قيم، القبيح، قيس بن الملوح.

Aesthetic Values In The Poetry Of Qais Ibn Almalawah

Abstract

Although beauty as a science has its theories and theorists is a modern science, aesthetic ideas have their roots in our ancient Arabic literature, so this research aims to address one of the negative values in the poetry of (Qais bin Al-Malouh), one of the most prominent poets of virginal yarn, which is the ugly value that It has always been associated with the sensual manifestations of the form, but in his poems it was not limited to the sensual manifestations, but came mostly moral, as he expressed the ugliness of actions, deception and separation ... through the mediation of the artistic image

Keywords: Values, Ugliness, Qays bin Almulawah.

الجانب النظري من البحث:

مقدمة:

قد لا تكون الانفعالات الجمالية بالضرورة إيجابية بمعظمها، بل قد تشمل أيضاً انفعالاتٍ سلبية، مما يؤكد أنه كما يوجد قيم إيجابية كذلك الأمر يوجد قيم سلبية كالقبيح، والوضيع، والجبان، والدوني، والهزلي.

وشاعرنا عندما كان يكتب أبياته الشعرية يكون قد ارتبط بشيء ما، فاتخذ منه موقفاً إيجابياً, أو تأزم منه فاتخذ منه موقفاً سلبياً، وسنقف في هذا المقال عند قيمة القبيح في شعر قيس بن الملوح.

مشكلة البحث: تكمن الإشكالية في البحث في:

-طبيعة القيم الجمالية والتي تندرج ضمن مفاهيم خاصة لدى مفكري علم الجمال.

-صعوبة الربط بين طابع الغزل العذري في شعر قيس بن الملوح والقيم الجمالية.

-تداخل مصطلحات القيم الجمالية مع الجوانب الأسلوبية الخاصة في الشعر العذري عند قيس بن الملوح..

أهمية البحث:

-ارتباط الشاعر بنمط خاص من القيم.

-الإضاءة على قيمة القبيح في شعر قيس بن الملوح ودورها في كشف مكامن الجمال في شعره.

أسئلة البحث:

-ماهي الدلالات التي خرجت إليها قيمة القبيح في شعر قيس بن الملوح؟

-ما أثر قيمة القبيح في إبراز مكامن الجمال في شعر قيس بن الملوح؟

منهج البحث:

ستعتمد الدراسة على التنويع بين المنهج الوصفي الذي يمكننا من رصد الظواهر و الأحداث ومتابعتها في شعر قيس بن الملوح، إضافةً إلى الاعتماد على المنهج الجمالي بما يوفره من أدوات تظهر جمالية النصوص الشعرية..

تعريفات مهمّة:

، وبداية لا بد لنا من الوقوف عند تعريف مصطلحات البحث؛ وأولها مفهوم القيمة: وقد ورد معنى القيمة في معاجم اللغة بمعانٍ وتعريفاتٍ مختلفةٍ، تصبُّ جميعها في معنىً واحدٍ هو الفضائل، فالقيم في اللغة جمع قيمة، مشتقة من الأصل (ق،و،م)، استعمل جذره للدلالة على معان متعددة ومختلفة، ومنها: قوّمت الشيء تقويماً، وأصله أنك تقيم هذا مكان ذاك .

والقيمة بالكسر: واحدة القيم، وما له قيمة إذا لم يدم على شيء، والقوام: العدل وما يعاش به، والقوام: نظام الأمر وعماده وملاكه[1] .

[1]الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج4، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، الطبعة الخامسة، ٢٠١١، ص 168.

والقيام والقوام: اسم لما يقوم به الشيء ويثبت كالعماد والسناد، لما يعمد ويسند به"[2]، كقوله تعالى:((وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا[3])).

أما في الفلسفة فـ: "يطلق لفظ القيمة من الناحية الموضوعية على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقاً للتقدير كثيراً أو قليلاً، فإن كان مستحقاً للتقدير بذاته كالحق والخير والجمال، كانت قيمته مطلقة، وإن كان مستحقاً للتقدير من أجل غرض معيّن كالوثائق التاريخية، والوسائل التعليمية، كانت قيمته إضافية.[4]"

لتكون القيمة بذلك "مجموعة القوانين الثقافيّة المشتركة التي يتمّ وفقها تقويم الرغبات والحاجات[5]"، وهي "مفهوم اجتماعي، يشير إلى الحسن[6]"؛ وقد جمع أحدهم تعريفها في قوله:" القيم هي أفكار أو تصورات، يعتنقها الفرد أو الجماعة، تجعل الاختيار الحرّ، أو السلوك يتّفق مع ما تقبله الجماعة، وكلّ انحراف عنها يولّد عند الفرد شعوراً بالخروج عن قاعدة الالتزام"[7]

أما بالنسبة لمصطلح القبيح: فإنه من الصعب الوقوف على تعريف مستقل للقبح خارج حدود مصطلح الجمال فقد ارتبط تعريف القبح بالجمال ارتباطاً وثيقاً، فقد ورد تعريف القبح في معاجم اللغة تحت مادة (قبح)،وهو "نقيض الحسن يكون في الصورة والفعل"[8].

وقد قدمه جميل صليبا في المعجم الفلسفي بمعاني "النقص والضرر والشر والاختلال والفوضى"[9]

بوتشير كلمة قبح إلى دلالات وتأويلاتٍ عديدة؛ فالقبح نفور، وتشويه، ومخالفة، وخروج عن السائد والمألوف، وهو مرتبط بمشاعر الحزن والألم والحرمان، أي إنه عبارة عن شعور له أبعاده التي تمثّل رؤية الشاعر لذاته ولمجتمعه وواقعه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المقصود بالقبح الجمالي "ليس القبح الحسي أو المتجسّد واقعيّاً، فهو شيءٌ مذمومٌ وغير مستحب، وإنما هو التّعبير عن القبح بوساطة الفنّ، ؟أي القبح المذموم في الواقع يغدو جميلاً، عندما يتجسّد فنّيّاً"[10].

إلا أنه مصطلح ذو قيمة فنية وعلى ارتباط وثيق بفكر الشاعر ورؤاه، فهو يمثّل نقده للواقع،

فالقبح عكس الجمال، ويعود الحكم بالجمال أو القبح على عمل الأديب، فحين نقول إن

---

[2]الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج 1، ص417.

[3]سورة النساء، الآية رقم5.

[4]جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 82.

[5]محمد عزيز نظمي سالم، القيم الجمالية، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص35.

[6]المرجع السابق، ص39.

[7]المرجع السابق ، ص41.

[8] ابن منظور، لسان العرب، مادة قبح.

[9] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص١٨٥.

[10] عزت السيد أحمد، تمهيد في علم الجمال، منشورات جامعة تشرين، سوريا، ط1، 2007، ص291.

العمل الفني " جميل أو قبيح فإننا نعني التعبير عنه..... أو المعبر عنه، وعندئذ فقط نكون قريبين من الحديث عن الجمال والقبح في الأشياء الخارجية"[11].

أما عن قيمة القبيح في الشعر العربي فإن الشعراء العرب حاولوا أن يبرزوا في أشعارهم قيمة القبيح من خلال تعبيرهم عن أشياء او شخصيات قبيحة جسدياً أو نفسياً عن طريق استخدام أدوات التقبيح من ألفاظ وصور ومعان.

أما شاعرنا فهو قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة العامرية ، وُلِدَ في بادية نجد في العام ٢٤ه (٦٤٥م)، وتوفي في العام ٦٨ه (٦٨٨م)؛ أي إنه نشأ في القرن الأول للهجرة، ولم يقف الأمر به عند هذا الحد بل تطورت قصة حبه لليلى إلى أن اتُّهم بالجنون بها فلقب بال(المجنون) لذهاب عقله لشدة عشقه لليلى[12]، وكان قد رسخ هذه الفكرة ببيت يقول فيه:

يُسمّونَني المَجنونَ حِينَ يَرونَني نَعم بي مِنْ ليلى الغداةَ جنونُ"[13]

فهو في هذا البيت السابق يعترف بجنونه ويبدو متفاخراً بأنه محب مجنون، حيث بلغ حبه وكلفه بليلى حد الجنون، ولا يوجد عاشق يلام على جنونه بمن يحب، وخاصة إن كان ذلك الحب قد غيّر حياته الشخصية والشعرية فأصبح عرضة للوم أهله والناس، كما أطلق حبها لسانه بقول الشعر. وليلى هذه هي ليلى بنت مهدي بن سعد بن ربيعة بن عامر، كانت ترعى ماشية أهلها في جبل التوباد، وهناك التقت قيساً، إذن هما أولاد عمومة ومن حي واحد فتعارفا، ودرجا صغيرين، علق كل منهما بالآخر، ويقول قيس في ذلك[14]:

"تَعلّقتُ لَيلَى وهيَ غِرٌّ صَغيرَةٌ ولم يَبدُ لِلأترابِ من ثَديها حَجمُ
صَغيرَينِ نَرعَى البَهمَ يالَيتَ أنَّنا إلى اليومِ لم نَكبَر ولم تَكبَرِ البَهمُ"

وكان قيس شاعراً موهوباً ينظم الغزل تشبيباً بمن يعجب بهن من النساء، و كان من عادة قبيلته (قبيلة بني عذرة) أن التشبيب بالمحبوبة أمر غير محمود لأنه يؤدي إلى سوء الظن بها ويشكك بتربيتها وأخلاقها، مما حتم عليهم رفض تزويج الفتاة بمن يشبب بها، وكان قيس قد نظم الشعر تشبيباً بليلى مما أدى إلى رفض أهلها تزويجها منه وعمدوا إلى تزويجها من آخر لا تحبه (يعلم قصتها مع قيس) فجن قيس لأنه كان قد أحبها وتعلق بها كثيراً، فخلد حبه شعراً تناقلته الأجيال إلى يومنا هذا ويمكن عدّه مؤسسا لمدرسة اسمها (مدرسة الحب العذري)، انضم إليها الكثير من الشعراء العشاق الذين انتهجوا نهجها في اتخاذ العفة هوية تميزهم عن غيرهم من الشعراء، والغزل العفيف هو " عشق تحكمه روابط العفة وتول دون انحرافه تقاليد سرت في تلك القبيلة (عذرة) إذ لم يُعرَف بين عشاقها من خرج على حدود الطهر والعفة، ومن ثمّ فقد نُسِبَ كل حب عفيف إلى بني

[11] عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية للنقد الأدبي، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٧٤، ص٣٦.

[12] قيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، دراسة وتعليق يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص25-28.

[13] المصدر السابق، ص79.

[14] ديوان قيس بن الملوح، تعليق يسري عبد الغني، ص13

عذرة، وقيل عن كل عشق نظيف أنه عشق عذري"[15] وكان قيس بن الملوح إماماً لهم بصفته عاشقاً أولاً، وشاعراً مقدماً من بين معاصريه من الشعراء العذريين وغير العذريين ثانياً وكانَ مرهف الحس، بسيط الألفاظ، غير متصّنع في شعره:
لأن حبه كان صادقا ففرض نفسه على الإنسانية بأشعاره الخالدة.

"وإنّي لَتعروني لِذكراكِ نفضةٌ كما انتفضَ العصفورُ بلَّلهُ القَطرُ"[16]

وبالانتقال إلى الجانب التطبيقي من البحث نجد أن شاعرنا قيس بن الملوح قد انطلق في تجسيده قيمة القبيح من مبادئ إسلامية؛ إذ نجده يبتعد عن التقبيح الذي فيه استهزاء أو سخرية أو تجريح أو هجاء، بل غالباً ما يلجأ إلى استخدم مجموعة من الألفاظ والصور في تقبيح أفعال معينة، أو أشخاص معينين كالوشاة الذين فرّقوا عن محبوبته ليلى، مسبغاً عليهم صفات حسية ومعنوية قبيحة، ومن ذلك قيامه بالتشويه الفني لينفر المتلقي من سوء فعل هؤلاء الوشاة، الذين بلغ بهم الأمر في تهكمهم من قيس إلى درجةٍ عدّوه فيها عاصياً، فاسقاً، فردّ عليهم قائلاً:

"ألَا أيُّها القَومُ الّذينَ وَشوا بنا	على غيرِ ما تقوى الإلهُ ولا بِرّ
ألا يَنْهَنا عَنكُم تُقاكُم فتَنتَهوا	أم أنتُم أناسٌ جُبِلتم على الكفرِ
تَعالوا نَقِفْ صَفّينِ مِنّا ومنكمُ	ونَدعو إلهَ النّاسِ في وَضَحَ الفجرِ
على مَنْ يقولُ الزورَ أو يطلبُ الخَنا	وَمَنْ يَقْذفُ الخُودَ الحِصَانَ ولا يَدري"[17]

فهو هنا نعت الواشين الين قالوا فيه وبمحبوبته الكذب بالكفر، ليبين لهم نسبة القبح فيما يقومون به من الوقوف في وجه حبيبين لا ذنب لهما سوى الحب، ولأنهم قالوا فيهما الكذب، وأقسم أن حبيبته عفيفة وبريئة من كل تهمة، وأنه حريصٌ عليها وعلى سمعتها.
ويقول في موضع آخر مصوراً لوم قومه وعتابهم وعذلهم له بسبب شدة حبه لليلى الذي غيّر مجرى حياته وجعله كالمبتلي بالمرض:

" وعاذلةٍ تقطّعُني مَلامَا	وفي زجرِ العواذلِ لي بلاءُ" [18]

فقد استخدم قيس هنا الاستعارة في قوله (تقطعني ملاما) فجسد الملام وهو شيء معنوي بشيء مادي يمكن أن يقطع[19]، وهي استعارة مكنية وتخرج الاستعارة هنا إلى غرض المبالغة[20] بالعذاب راسماً صورة شريرة قبيحة توحي بالنفور من سوء فعل تلك العاذلة التي قطعت روح الشاعر من شدة لومها له على حبه لليلى، ليتجلى البناء الفني لقيمة القبيح هنا بتصوير الفعل القبيح للوشاة واللائمين.

---

[15] مصطفى الشكعة، رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، مطبعة دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣، ص١٦٣.

[16]قيس بن الملوح، ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر، ص١٠٢.

[17] قيس بن الملوح، ديوان مجنون ليلى، ص 120-121.

[18]قيس بن الملوح، ديوان مجنون ليلى، ص36

[19] انظر-أساليب الأداء البياني والبديعي في شعر مجنون ليلى-هدى غازي عسكر ص443

[20] انظر,الصورة البلاغية عند عبدالقاهر الجرجاني,د.أحمد دهمان,ص243

كما يُعدُّ الفراق في شعر قيس صورةً من صور القبح، وهذا ما يتجلى في حديثه عن فراقه ليلى وانعكاس هذا الفراق على نفسه، فهو يقبّح أثر الفراق وذلك نتيجة حالته الانفعالية التي أراد نقلها للمتلقي ألا وهي حالة الحزن والألم الناجمة عن ذلك الفراق، ليكون هذا الشعور عبارة عن رد فعله تجاه فعل معين يتجلى بفراقه ليلى ، وهذا ما يمثّله قوله:

"فَلي قلبُ محزونٍ وعقلِ مدلّهٍ ووحشةُ مهجورٍ وذلّ غريبِ"[21]

نرى قيساً هنا ينسب لقلبه الحزن ولعقله الجنون، لينقل إلى المتلقي تجربته الأليمة، فقلبه حزين وعقله ذهب من شدة حبه لليلى لدرجة أنه أصبح يعاني من الوحشة والغربة والذل نتيجة فراقها.

ويدخل ضمن هذا الإطار قوله فيما وصفه الناس له من تعلقه الزائد بليلى:

"وحتّى دَعاني النّاسُ أحمقَ مائقاً وَقَالوا تبوعٌ للضَّلالِ مُطيعُ"[22]

فقد صوره الناس على أنه أحمق وذلك من شدة بكائه ونحيبه على ليلى، كما نعتوه بالضلال لمبالغته في تعلقه بها وحزنه على فراقها، والحماقة والضلال يندرجان تحت إطار القبح.

ومن ذلك أيضاً قوله عندما دخل بابل فاجتمع حوله المطببون وراحوا يسعفونه ويسقونه شربةً بعد أخرى ، ويكوونه:

"دعوني دعوني قد أطلتم عذابيا	وأنضجتم جلدي بحرّ المكاويا
دعوني أمت غمّاً وهمّاً وكربةً	أيا ويح قلبي من به مثل ما بيا"[23]

ويرسم قيس صورة قبيحة للغراب الأسود اللون:

"وما اغطوطش[24] الغربيب واسودّ لونه وما مرّ طول الدّهر ذكرك في صدري"[25]

وقد رسم قيس صورة لونية للغراب، فجعله أسودَ حالكا بما يتناسب وحالته النفسية الكئيبة والحزينة

فقد ارتبط اللون الأسود في اعتقاد الناس بالتشاؤم وقد استخدمه قيس في معناه السائد للتعبير عن شدة حزنه عند تذكره ليلى، فهي مزروعة في صدره كما القلب..

قد يكون في حديث قيس عن لوم الناس له في حبه لليلى على الرغم من صفاتها التي قد تكون قبيحة من وجهة نظرهم (فوهاء، قصيرة، جاحظة العينين، شهلة، سمجة)، إلّا أنها جميلةٌ جدّاً من وجهة نظر قيس:

"يَقولُ ليَ الواشونَ ليلى قصيرةٌ	فليتَ ذِراعاً عَرْضُ ليلى وطولُها
وإنّ بعينيها لَعمركَ شهلةً	فقلتُ كِرام الطّير شُهلٌ عيونُها
وجاحظةٌ فوهاءُ لا بأسَ إنّها	منى كبدي بل كلُّ نفسي وسولُها
فدقَّ صِلاب الصّخرِ رأسكَ سَرمداً	فإنّي إلى حينِ المماتِ خليلُها"[26]

[21] المصدر السابق، ص٦٥.

[22] المصدر السابق، ص152.

[23] قيس بن الملوح، ديوان مجنون ليلى، ص234.

[24] اغطوطش: اشتد سواده

[25] المصدر السابق، ص117.

فهو هنا يبني قيمة القبيح من ناحية الشكل وذلك على لسان الواشين واللائمين، إلا أنه لا يبالي بما يقولونه عنها (قصيرة، عيونها زرقاء اللون، واسعة الفم، جاحظة العينين)، إلا أنه معجبٌ بها حتى وإن كانت قصيرة فقد أحبها حباً خالصاً نقياً لا يتغير، وهي عنده أجمل ما في الوجود، فهي أمنيته وإن قالوا عنها قصيرة، كما أنه رد على وصفهم لعينيها بأنّ عيونها تشبه عيون الطير، واما جحوظ عينيها وسعة فمها، فقد رد قيس باختصار على هذا الكلام بأنّ ليلى قلبه وحياته ولا غنى له عنها، وهذا ما يكشف عن أمور قد تكون مضمرة كأن يريد أن يقول لهم دعوني وشأني فأنا اخترت ليلى وأنا مسؤول عن اختياري، وهذا ما يعكس تمرده فشعور قيس بالاستياء من رفض أهل ليلى والمجتمع تزويجه منها، مما ولد عنصر الصراع بين جمال علاقة الحب التي تجمع قيس بليلى وبراءتها، وقبح معارضة المجتمع ورفضهم لتلك العلاقة، أي إنّ القبح وليد القمع. فهي كبده

ومن ذلك أيضاً قوله:

"لَئِن مَنَعوا لَيلى السَلامَ وَضَيَّقوا	عَلَيها لِأَجلي وَاِستَمَرَّ رَقيبُها
أَتَيتُ وَلَو أَنَّ السُيوفَ تَنوشُني	وَطُفتُ بُيوتَ الحَيِّ حَيثُ أَصيبُها
فَلَيتَ الَّذي أَنوي لِلَيلى يُصيبُني	وَلَيتَ الَّذي تَنوي لَنا لا يُصيبُها
فَلا تَعذِلوني في الخِطارِ بِمُهجَتي	هَوى كُلُّ نَفسٍ أَينَ حَلَّ حَبيبُها"[27]

لقد وقف مجنون ليلى بشكل بطولي أمام التقاليد الاجتماعية التي ثار عليها الشاعر وتمرد وأعلن تحديه لها قولاً وفعلاً بعد تخطيه مراحل الخوف والخجل واصطناع الحيل لرؤية المحبوبة.

-ويدخل القبح في إطار الحديث عن الموت، فقد دفعته ظروف فراقه ليلى إلى أن يتحدث عن الموت ويتمناه، وذلك بما يتلاءم والتعبير عن وضعه النفسي ويعبر عنه أصدق تعبير، لذا نجده يتمنّى الموت لكي يلتقي بمحبوبته الأزلية الأبدية، مثل ذلك قوله:

"أَلَا ليتَ لحدكَ كانَ لحدي إذا ضمَّتْ جنائزَنا اللّحـــودُ"[28]

فالموت هنا متمثلاً بالقبر والجنازة يوحي بالقبح الناجم عن الفراق، لكن الشاعر هنا يتمنى أن يجتمع بليلى في قبرٍ واحدٍ وجنازةٍ واحدةٍ، فهم وإن لم يُقسما لبعضهما في الحياة الدنيا، فإنه يتمنى أن يجمعهما قبرٌ وجنازةٌ واحدةٌ، وهذا الموقف الوجداني أقرب ما يكون إلى العشق والهيام والوجد.

وقد يكون القبح خروجاً عن المألوف والمتوقع في القصيدة، على نحو ما نجد في قوله:

"أَلَا لَيتنا كُنَّا جَميعاً ولِيتَ بي مـنَ الدَاءِ مَالا يَعلمونَ دَوائِيا"[29]

[26] المصدر السابق، ص 223.

[27] قيس بن الملوح، ديوان مجنون ليلى ، ص٥٩.

[28] المصدر السابق، ص٨٣.

[29] قيس بن الملوح، ديوان مجنون ليلى، ص٢٣٣.

فالمرض شرّ وما من أحد يتمنّى الشر لنفسه فيرضى بالمرض ويتعايش معه لمجرد أن يجتمع بمحبوبته وهذا ما فعله قيس فقد طلب المرض وتمناه لتتجلى بذلك قيمة القبح بالمرض وطلبه, ولكن ليس أي مرض، فالشاعر يطلب مرضاً لا دواء له, أي إنه حكم على نفسه بالعذاب المستمر مدى العمر لتتجلى بذلك قيمة القبح في جلد الذات والألم الذي يسببه المرض..

ويدخل ضمن الإطار السابق تمنيه سماع خبر طلاق ليلى بعد أن خذلته وتزوجت من غيره، فهو في الواقع يحب ليلى ويتمنى لها الخير لذا من غير الممكن في تمنيه سماع خبر طلاقها أن يكون يضمر لها شراً، نظراً لأن الطلاق أبغض الحلال عن الله وما من أحد يتمنى الخير للآخر يتمنى له اضطراب حياته الأسرية بالطلاق ، إلا أن قيسا يتمنى طلاق ليلى لأنه يعلم بأنها غير سعيدة مع زوجها، لعله يستطيع وصالها والزواج منها بعد ذلك:

"فَمَا أَكثرَ الأَخبارَ أَنْ قَد تزوَّجت فهَل يَأتيني بِالطلاقِ بَشيرُ"[30]

فهو هنا يستخدم أسلوب التعجب (ما أكثر) على وزن (ما أفعله) للدلالة على كثرة الأخبار والإشاعات عن طلاق ليلى من زوجها، متمنيا بعد كثرة هذه الإشاعات أن يكون خبر طلاقها صحيحاً، ويبشره أحدهم بذلك، ليتجلى القبح في لفظة (الطلاق) التي توحي بالتشتت والاضطراب والنفور.

ومن ذلك أيضاً تشبيهه الحب بالفناء:

"وَجدْتُ الحبَّ نيراناً تلظّى	قلوبُ العاشقينَ لها وقودُ
فلو كانَت إذا احترقَت تفانَت	ولَكن كلّما احترقَتْ تعودُ
كأهلِ النّارِ إذ نضجَتْ جلودٌ	أعيدت للشقاءِ لهم جلودُ"[31]

ونرى هنا بلوغ حبه لليلى مبلغ الانفجار من العذاب، فألفاظ (النار، تلظى، احترقت، تفانت، الشقاء) توحي بالقبح نتيجة العذاب التي تسببه، فالنار هي مصير محتوم للشقاء، والفناء بدوره يعني الفراق الذي يدل على القبحِ أيضاً ، واجتماع هذه الألفاظ مع بعضها يشير إلى سلبيات الحب من وجهة نظر قيس، ويكشف قيمة القبيح فيها، هذا بدوره ما يقودنا إلى القول بأن

القبح قد يؤدي بدوره إلى متعة فنية إذ تتجلى أهميته في اعتماده بشكل كبير على الدقة والتفنن في التصوير، وهذا أيضا ما نجده في قوله:

"وكنتِ كذئب السوء إذ قال مرّةً	لبهمٍ رعت والذّئب غرثان مرملُ
ألستِ الّتي من غير شيءٍ شتمتني	فقالَتْ متى ذا؟ قالت ذا عام أوّلُ
فقالَتْ وُلدتُ العامَ بل رُمت كذبةً	فهاكَ فكلّني لا يهنيك مأكلُ
وكنتِ كذبّاح العصافيرِ دائباً	وعيناه من وجدٍ عليهنّ تُهملُ
فلا تنظُري ليلى إلى العينِ وانظري	إلى الكفّ ماذا بالعصافيرِ تفعلُ"[32]

[30] المصدر السابق ، ص109.

[31] المصدر السابق ، ص84.

[32] قيس بن الملوح، ديوان مجنون ليلى، ص170-171.

فتصوير قيس السابق الذي يعتمد على قصتين الأولى (قصة الذئب والحمل) ، والثانية تعتمد على قصة (الشيخ والعصافير)، للتعبير عن ظلم ليلى له، ومعاناته منه فهو يقف أمامه مكتوف الأيدي ما من وسيلة لمجابهته إلا تلك الأشعار التي يبثّ من خلالها مشاعره وهمومه، فمن المعلوم أن صورة الذئب مرتبطة بالقيم السلبية المتمثلة بالغدر والخيانة والقنص، وهذا بدوره ما يوحي بالقبح، وهنا تتجلى الوظيفة النفسية لقيمة القبح المتمثلة بصورة الذئب والشيخ ذباح العصافير، واستخدامهما ليس اعتباطياً، بل فرضته الضرورة النفسية للشاعر، كما يدخل في إطار القبح هنا استخدام قيس الألفاظ الموحية بالقبح (شتمتني، كذبة) إذ فالفعل (شتمتني) يدل على سوء الخلق، كما أن لفظ (كذبة) يدل على سوء الطبع والخلق.

كما استعان هنا قيس بقصة الشيخ والعصافير التي أوردها الجاحظ في كتابه (الحيوان):
"يحكى أن شيخا نصب للعصافير فخّاً، فارتَبْن به و بالفخّ و ضربَه البرد، فكلما مشى إلى الفخّ وقد انضمّ على عصفور فقبض عليه و دقّ جناحه، و ألقاه في وعائه _ دمعت عينُه _ مما كان يصكُّ وجهه من برد الشمال، فتوامرت (تشاورت) العصافيرُ بأمره، وقلن: لا بأس عليكن، فإنه شيخٌ صالحٌ رحيم، رقيقُ الدمعة، فقال عصفورٌ منها:
" لا تنظروا إلى دمُوع عَيْنيه، ولكن انظروا إلى عمل يديه"[33]
فقد استغل قيمة القبح المتمثلة بفعل القتل، ليبين لليلى تأثيرها القوي على نفسه، فهي فعلت به كما فعل الشيخ بتلك العصافير البريئة، و رمت به إلى التهلكة مدعيةً البراءة، ليكون قيس قد حول القبيح في فعل الذئب والشيخ إلى صورة عكست قيمة القبيح بشكل فنّيّ يقوم على توظيف العنصر القصصي المتمثل بقصتي الذئب والخراف، والشيخ والعصافير ، وقد يكون ذلك لتخفيف وطأة الألم الذي يعاني منه.
بناءً عليه يبقى القبح شكلاً من أشكال الجمال في العمل الإبداعي في شعر قيس بن الملوح الذي امتلك قدرة فنية عالية مكّنته من تصوير القبح تصويراً فنيّاً معبّراً عن مشاعره وردّات فعله تجاه واقعه ومجتمعه، معتمداً في ذلك على شعوره أوّلاً وخياله ثانياً، فتجلت قيمة القبح في شعره بالقبح الحسّي وذلك في تصويره لرؤية مجتمعه لشكل ليلى؛ فمنهم من رآها قصيرةً، جاحظة، وشوهاء، بالإضافة إلى القبح المعنوي الذي تجلى في ردّة فعله على لائميه والذي نفّس من خلاله عن مشاعره، وعكس حزنه وغضبه من التدخل السلبي للمجتمع في قصة حبه مع ليلى، متّخذاً من القبح مادّةً يبني عليها صوره لكي يحظى بإعجاب المتلقّي محقّقةً وظيفة نفسيةً وجمالية واجتماعية.

[33] الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ج١، ط٢، الناشر مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٥، ص٦١٢.

خاتمة:

وهكذا تجلى وعي قيس بن الملوح في تجسيد قيمة القبيح في شعره، فركز على القبح المعنوي الذي أدى وظائف جمالية عدة حققت المتعة الفنية، واجتماعية إذ عكست لنا صوراً من واقع المجتمع العربي في ذلك الوقت، بالإضافة إلى الوظيفة النفسية التي مكنت قيس من التنفيس عن مشاعر الحزن والألم الناجمين عن قصة حبه مع ليلى بما فيها من أحداث جعلت المتلقي يتفاعل معها، ويتخيلها نتيجة الصور التي قدمها قيس وجاءت بمعظمها معبرة صادقة عكست قيمة القبيح ضمن إطار جمالي، إلا أنّنا نؤكّد هنا أنّه لا توجد قيمة سلبية، لأنّ القيم جميعها إيجابيّة، ونحن نتعلّم من القبيح قيمة رفضه، وهذا ما وجدناه في شعر قيس الذي ذمّ أفعال الوشاة والفراق، وأثرهم على حياته، لذا كان تعاملنا مع القبح باعتباره شعوراً إنسانيّاً ذا أبعادٍ نفسيّةٍ، لا كغرضٍ شعريّ.

نتائج البحث:

1. تعود الرؤية الشعرية لقيمة القبيح عند قيس بن الملوح إلى حالته النفسية، التي كان لها الدور الأبرز في إبراز تلك القيمة من خلال الطبيعة وموجوداتها الحسية والمعنوية، وقد مثل القبح المعنوي عامل جذب قوياً لذات قيس الشاعرة فخصّ بعضاً من شعره لوصف قبح الفراق الذي كان له الأثر الأكبر في قبح أفعال وشخوص معينة، وذلك من خلال العناية الشديدة بالصورة الفنية الرامزة الموحية والمعبرة.
2. لم يركز قيس على الجانب الحسي للمرأة المتمثل بالجسد الأنثوي في تصويره لقيمة القبيح، بل كان تركيزه على الجانب المعنوي المتمثل بأثر حبها في نفسه، والحزن الذي سببته له.

3. انطلق قيس في تعبيره عن قيمة القبيح في شعره من منطلق جمالي إسلامي؛ لذا نجده يبتعد عن التجريح والتحقير فلم يقبح شكلاً أو شخصاً، بل اقتصر تقبيحه على تقبيح أفعال أو شخصيات سلبية، كتقبيحه الأفعال التي قام بها لائموه، والشخصيات السلبية كاللائمين والعاذلة، كما تجلت قيمة القبيح بأبهى صورها عند حديث قيس عن الموت والفراق، والفناء، وتصويره للغراب الأسود رمز التشاؤم.
4. جعل قيس من الطبيعة ومخلوقاتها عامل جذب مهماً، فأضفى عليها سمات الأنسنة وحولها بالتشخيص إلى ذوات حملت معه همومه ومشاعره، مما عكس قيمة القبيح من خلال اعتماده على خياله الفني لخلق عالمٍ مثيرٍ جديدٍ.
5. -على الرغم من أن قيساً كان شاعراً مقلداً في مضامين صوره، إلا أنه جدد في وسائلها وألوانها، وقد ارتبطت صوره بحالته النفسية مع توليد المعاني وتوضيحها، وهذا بدوره ما عكس قيمة القبيح وتحققها في شعره.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

1. ابن قتيبة الدنيوري، أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1958.
2. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت).
3. أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج٣، دار صادر، بيروت، 1988.
4. أحمد دهمان، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، منشورات وزارة الثقافة, ط2
5. بنديتو كروتشه، علم الجمال، عربه نزيه الحكيم، راجعه بديع الكسم، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، المطبعة الهاشمية، عمان، الأردن،١٩٦٣.
6. الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ج١، ط٢، الناشر مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٥.
7. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
8. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج 1.
9. رمضان بسطاويسي- محمد غانم، علم الجمال عند لوكاتش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1919.
10. شيللر، في التربية الجمالية، تر. وفاء محمد علي إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991.

11. عزت السيد أحمد، تمهيد في علم الجمال، منشورات جامعة تشرين، سوريا، ط1، 2007.
12. عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية للنقد الأدبي، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٧٤.
13. فؤاد مرعي، الجمال والجلال، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1991
14. لفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج4، دار المعرفة، بيروت ، لبنان، الطبعة الخامسة، ٢٠١١.
15. قيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، دراسة وتعليق يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.
16. قيس بن الملوح، ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة.
17. لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.
18. محمد عزيز نظمي سالم، القيم الجمالية، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت).
19. محمد النويهي، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د.ت).
20. مصطفى الشكعة، رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، مطبعة دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣.
21. مصطفى عبد الواحد، دراسة الحب في الأدب العربي، دار المعارف، مصر، 1972.
22. هدى غازي عسكر,أساليب الأداء البياني والبديعي في شعر مجنون ليلى,مجلة الاستاذ العدد203.